

مجموعة قصصية

هبه البدهلي

للموتِ مَعانٍ أُخرَى

لِلمَوتِ مَعانٍ أُخرَى

مجموعة قصصية

هبه البدهلي



هبه البدهلي/ من مواليد القاهرة عام 1976، تعود أصولها إلى قرية الأكراد بمحافظة أسيوط. تخرجت في كلية الحقوق جامعة القاهرة، نشرت العديد من قصص هذه المجموعة في صحف ومجلات مختلفة.

للموت معانٍ أُخرَى
هبه البدهلي
الطبعة الأولى مايو 2014
رقم الإيداع: 2014-8563
الترقيم الدولي: 978-977-5154-25-5

الناشر
محمد البعلي

اخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.



دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

لِلمَوتِ مَعانٍ أُخرَى

المحتويات

إهداء

إلى أول من بذر بداخلي بذور المعرفة

إلى والدي تقديرا لفضله

ثم إلى حديقة أيامي .. متباهية بورودي .. عبدالرحمن ومصطفى وأحمد

ثم إلى أمي وزوجي وأخوتي وكل من قرأ كتابي هذا

هبه البدهلي

لماذا ..؟

يملأ حوصلته بكل ما يقابله من طعام من خلال بحثه عنه طيلة النهار، وككل يوم يريد أن يسبق غروب الشمس بعودته إلى عشة في إحدى الأشجار...

يطير .. يحلق بجناحيه مرتفعاً تارة ومنخفضاً تارة أخرى. يبدأ قرص الشمس في الاختفاء شيئاً فشيئاً، يبحث بعينيه عن أقرانه فلا يجد منهم أحداً ... يطير ويطير فيتعثر بظلام الليل الذي تسلل إلى السماء قبل أن يصل هو إلى عشه ... إلى أن سقط قرص الشمس تماماً وامتلأت السماء بالظلام ... يهبط بجناحيه إلى أسطح المنازل وأطراف الشجر وأعمدة النور علّــه يصل إلى عشه، فيدخل في إحدى الغرف المضيئة من خلال نافذتها المفتوحة... يقف على المنضدة لاهثاً خائفاً فيحلق في سماء الغرفة محاولاً العودة إلى خارجها.

يدخل ذاك الولد إلى غرفته فيخاف هو ويحاول الفرار طائراً مرتطماً بكل ما في الغرفة من أشياء مرتفعةً كانت أو منخفضة.

يسعد الولد بأن رآه في غرفته "عصفور؟!" ... يغلق وراءه باب غرفته، ثم يجري ليغلق النافذة ... يحاول العصفور الفرار برغم كل المغلقات ..." هتروح مني فين؟ هامسكك يعني هامسكك". يزقزق العصفور صارخاً ... مستنجداً... يتخبط بكل ما يقابله ... يحاول الفرار

من تحت الباب فيفشل ، يرتطم بكل شيء ... يلف ويدور ... ثم يسقط على الأرض متعباً، فيرتمي عليه الولد بعد أن تعب هو الآخر من محاولة الإمساك به.

يأتي "بدبارة" طائرته الورقية ويربط بها ساق العصفور، ثم يمسك بمنتصفها وكلما أحس العصفور بالحرية وحاول الطيران سحبها منه بشدة، ثم أخذ يلف به في الغرفة لفات دائرية يتخبط أثنائها العصفور بكل ما يقابله .. الهواء، الحائط، المنضدة .. حتى ارتطم بمقبض الدولاب وانحشرت به ساقه، فسحبه الولد فانكسرت ساقه فشعر بالنصر أ.. يطلق ضحكات مدوية زهقت أثناءها روح العصفور.

سؤال إجباري

ألقى بهاتفه المحمول على الطاولة وسط بقايا ليلته الماضية من طعام ومشروبات إثر محادثة أخيه. تصارع أمه الموت المحتوم لساعات آملة أن تراه.

التزم السكون تاركاً مشاعره تتضارب، وتتصارع منتظراً أن تهزم بعضها الأخريات فيهتدي إلى ما يجب أن يفعل ..

تراءت أمام عينيه كل مشاهد الموت التي عاصرها بدايةً من مشهد حادثة سيارته التي كان يقودها في طريقه إلى بلدته.

انتفض متآوهاً متذكراً كيف اقتطف الموت حياة زوجته وبنتيه في لحظات، وكيف تخيل وقتها أنه يقطف حياته أيضاً لكنه لم يفعل ـ ثم نهاية بمشهد وفاة صديقة الثائر يوم "28 يناير 2011" وكيف ذهب مع أخيه ليتعرف عليه في المشرحة.. كان جسداً ممدداً في ثلاجة .. مفقوء العين .. مشوهاً .. فاتحاً فاه.

ارتعد خائفاً. أمسك بالجريدة التي أمامه، هارباً إلى داخلها .. أخذ يتأرجح بين سطورها، قافزاً من فوق صفحة حوادث الآخرين إلى ما بعدها تارة، وعائداً إلى ماقبلها تارة أخرى .. ترك الجريدة فلم يعي شيئاً مما قرأ.

لطالما رغب في رؤية أمه المريضة، ولطالما أخبرته برغبتها في ذلك خشية أن يتوفاها الله دون ما رغبت.

شعر بالعجز، فكيف يذهب لرؤياها وقد أصبح لا يخرج من بيته إلا إلى عمله ماشياً على الأقدام ـــ حتى احتياجاته يشتريها أثناء عودته بنفس الطريقة ـــ ثم يمكث في بيته ما بقى من يومه غير فاتحاً بابه للطارقين إلا للمقربين فقط.

عاد فسكن متحيراً إلى أن انتهى صراع المشاعر داخله فاتخذ قراره بعدم السفر إلى أمه، لن يراها تلفظ بقايا أنفاسها، سيبقى في غرفته مغلقاً كل نوافذه، موصداً بابه، فذهب إلى سريره .. مدد عليه جسده .. غطاه كلياً .. أغمض عينيه لكنه لم يفتحهما ثانية.

(ق.م)

تسللت إلى أذنيّ أصواتاً كثير مختلطة، فتخيلت أنني لم أفق من نومي بعد، وأنني أحلم حلماً مؤلماً.

حين تَمَيّز لي صوت أمي وهي تبكي متألمة، ثم صوت جارتنا أم حبيبة، وصوتيّ "حبيبة" وأختها وهما تتحدثان ... وقتها فقط أدركت أنني في مرحلة ما بين الحلم والحقيقة.

فتحت عيني على الفور فوجدت أمي بجانبي تتألم بشدة، تساعدها جارتنا أم حبيبة في تبديل ملابسها...

خفت كثيراً فصرحت باكية، احتضنتني أمي محاولة التماسك، ثم أخبرتني بأنها ذاهبة إلى المستشفى لتلد أختي التي انتظرتها كثيراً، وأن عليّ انتظارها حتى تعود مطمئنة إياي بأن حبيبة ستكون معي حتى عودتها تركت خوفي وسعدت آملة أن أرى أختي بعد ساعات قليلة، بالرغم من أن ذلك يعني أننا سنبقى مع جدتي " مصرية " وهذا أسوأ ما في الأمر بالنسبة لي.

ذهبت أمي وذهبت معها جارتنا حاملة حقيبة تحوي ثياباً بيضاء جميلة، وقد قبلتني قبل أن تذهب، تماماً كما قبلني أبي قبل أن يذهب

ولم يعده أمسكت بيد حبيبة بشدة، فدائماً ما كانت جدتي "مصرية" مصدراً للخوف بالنسبة لي.. إنها دائماً في فراشها تنظر إليّ كلما مررت أمام الغرفة لا أعرف إن كانت تحبني أم لا، لكنني لا أحبها لأنها تخيفني بوجهها الشاحب وجسدها الساكن رغم محاولات أبي إلقاء بذور الطمأنينة في قلبي فأخبرني مراراً انها كانت كالفراشة الجميلة فقد كانت في صغره تطعمه وتسقيه وتداعبه مدللة إياه تماماً كما تفعل أمي معي... لم تخف حبيبة من جدتي كما خفت أنا، فهي ترى أنها عاجزة عن فعل أي شيء. فأخذتني إلى غرفتي لنبدأ اللعب... تحدثنا إلى الدمى وتخيلنا أنها تتحدث إلينا ... سألناها وسألتنا ... روينا لها وروت لنا. ثم أخذت أروي لها عن أبي الذي ذهب ذات صباح حاملاً لافتة مكتوب عليها (أرحـــــــل) هكذا أخبرني حين سألته عما هو مكتوب بها ثم مرت أيام لم أحصها ولم يعد أبي لكننا كنا نراه دائماً في التلفاز ... كانت تخبرني أمي أن أبي هناك في (ميدان التحرير) ... مشيرة إليه، لم أكن أراه بشخصه، لكني كنت أشعر أني أراه.

تمنينا أنا وحبيبة ودُمانا أن يعود أبي وتعود أمي ومعها مولدتها، فقد مللنا الانتظار. فتحت أخت حبيبة الكبرى الباب لتحضر لنا الطعام كما أوصتها أمها، فأطعمتنا، ثم ذهبت لتطعم جدتي، وتعطها دوائها، فعدنا نحن لأحاديثنا، وتخيلاتنا، فأخذنا نتخيل أختي وحجمها، ومدى جمالها، ومن ستشبه منّا فسألتني حبيبة عما إذا كنا قد اخترنا لها اسماً، فأخبرتها أن أبي أخبرني قبل أن يذهب أننا إن شاء الله سنسميها "مصر" تُرى هل ولدت الآن أم ليس بعد؟ .. هل؟ .. متى ؟ .. كيف ؟ .. كان ...

لم أعي أن النوم قد اقتطف منا تساؤلاتنا وحكاياتنا، وتمنياتنا... إلا حينما أيقظني أبي متشوقاً إليّ فرحاً ممسكاً بالعلم في يده فنقله إلي يديّ طالباً مني أن أغني معه "ارفع راسك فوق... انت مصري".

سعدت بعودته كثيراً وازددت حين أخذني لغرفة أمي فوجدتها

في سريرها محتوية مولدتها فاحتضنتها بشدة، ثم أمسكت بيد أختي الصغيرة متأملة إياها مفكرة كيف لها أن تكبر لتمسك هي بيدي!

التغيير

انطفأ داخلي من كل ما كان يتألق به من قبل، مع انطفاء المصباح المرتبط بإغلاق باب الشقة حينما أغلقه فذهب.

شعرت بالخوف مع أول إغلاقة للباب وراءه، وبالبرد مع تلك النسمة الهوائية الليلية التي فقزت إلى منزلنا ..

استندت إلى نفسي .. التقطتني قبل أن أسقط، لكني لم أتمكن من كبت دمعاتي، فانطلقت مني رغماً عني، فأخذت أبكي أمام نفسي رغم عدم رغبتي في ذلك.

لطالما شعرت بالغيرة من جارتي التي انفصلت عن زوجها، فقد أصبحت أكثر ارتياحاً، أكثر انطلاقاً. أصبحت تفعل ما تحب، وتحب ما تفعل. صرت أسمع ضحكاتها من داخل داخلها.

صارت أجمل ..!

جففت دموعي وشددت ظهري، ورفعت رأسي، ثم ذهبت إلى غرفتي... نظرت إلى الفراغ الكامن في دولاب الملابس نتيجة لذهابه، باحثة كيفية ملأه، فأخذت أصفف ملابسي بطريقة تتيح لي ذلك، ثم أخذت أغير ما استطعت في الغرفة بدايةً من تلك الصورة التي دائماً ما كان بها أطول قامةً مني، ونهايةً بكل آثاره البسيطة من أعقاب سجائره،

وتراب حذاءه قبل ذهابه.

ثم انطلقت إلى خارج الغرفة مستمرة في التغيير.

زقزقت العصافير، وحلقت الطيور ؛ فتراقصت أوتار الشمس العابرة إلى منزلنا عبر زجاج نوافذه. دق وقتها جرس منبه الصباح فأغلقته، ثم اتجهت إلى غرفة ولدي لإيقاظه كي يبدأ يومه.

بيت الزواحف

هل يبكي الثعبان ؟؟

سؤال طرأ على ذهنه دون سابق تفكير به فكر كثيراً ولم يستطع الإجابة عنه... اتصل بصديقه هاتفياً سائلاً إياه هذا السؤال ... أغلق الخط مخيب الأمل بعدما لم يجب صديقة عن سؤاله مستخفاً به، لائماً عليه أن يتصل به في هذا الوقت المتأخر بعد منتصف الليل.

ذهب فأيقظ زوجته سائلاً إياها "هل يبكي الثعبان"؟

أسرع خارجاً من الغرفة بعدما لقنته زوجته درساً عن آداب التعامل مع الآخرين.

جلس أمام التلفاز مستعرضاً جميع محطاته باحثاً عن إجابة لسؤاله، فلم يجد ... انتبه أثناء ذلك إلى جهله بالكثير من الأمور العادية، اختار محطة علمية معروفة ليجعل مشاهدتها ضمن يومياته شاعراً أنها خطوة نحو العلم، ووسيلة ليست مرهقة للتثقف، وآملاً أن يجد برنامجاً يتحدث عن حياة الثعابين... بدأ من وقته هذا وظل يستمع إلى ما بها من برامج ... لم ينتبه إلى ما مضى من الوقت لكنه انتبه إلى انبثاق النهار، فغير المحطة كي يستمع إلى آخر الأخبار قبل أن يغوص في نومه منتوياً الذهاب في أقرب فرصة إلى بيت الزواحف في حديقة

الحيوان والبقاء أمام الثعابين إلى أن يصل إلى إجابة لسؤاله.

كانت معظم محطات الأخبار لا تزال تتحدث عن جلسة محاكمة الرئيس المخلوع ونجليه... جلس فشاهد كل ما لم يشاهده بالأمس من أحداث، وقد رأى الرئيس السابق ممدد على سرير في قفص الاتهام وأمامه نجليه يخفيان ما لا يريد أن يظهره، لكنه في لحظة قد قرأ زجاج نظارته. فانتابته رجفة فأسرع بإطفاء التلفاز مكتفياً بما رآه ذاهباً إلى سريره مستسلماً للنوم متمنياً أن يأسره.

مشهد من إخراجي

شعر بتقبيل أمه له ككل يوم قبل خروجها من المنزل صباحاً، ثم بصوت إغلاق الباب، فتوكيد إغلاقه بالمفتاح.

تأرق في نومه إثر ذلك لفترة، ثم اعتدل في سريره غير راضي، فأمسك بريموت التلفاز ضاغطاً على زر التشغيل... أخذ يتنقل بين محطات الأطفال مشاهداً من ذلك البرنامج فقرة، ومن الآخر مشهداً، ومن الثالث شيئاً، ثم ضغط على نفس الزر فأغلق الجهاز.

قام متجهاً إلى صندوق ألعابه .. فتحه .. أخذ ينظر إلى ألعابه علّه يقرر بأيهم يلعب، ثم أوقع الصندوق على أحد جوانبه فوقعت بعض اللعب، فأخذ ينزل باقيها بيده، ثم تفحصها جميعها بناظريه فاختار منها علبة العسكر المسلحين، ثم اختار بعض الشخصيات التي يحبها من الألعاب لتكتمل اللعبة.

حَمَل ألعابه وجلس في منتصف الغرفة.

عليه الآن أن يضع كلاً في مكانه...

فتح علبة العسكر فاختار أكبرهم فوضعه على كرسيه الصغير فرفع ذراعيه قليلاً، فجعله يمسك بالسلاح في إحداها، ويشير إلى الأسفل

بالأخرى.

ثم أخذ يصفف الجنود المسلحين بشكل دائرة مغلقة، وفي داخلها أخذ يوزع الأفراد.

ابتسم معجباً بالمشهد الذي أخرجه، عليه الآن أن يحرك الأفراد.

تحير قليلاً فمن أيد يبدأ ؟!

ثم جعل القائد يشير من الأعلى إلى عسكره فأخذوا يضيقون الدائرة على الأفراد، وبعد أن جعله يعطهم الإشارة بالتوقف .. أخذ يحرك الأفراد في مواجهة العسكر مردداً هتافات مختلفة المطالب والمعاني، حتى أصبح الأفراد في مواجهة العسكر بشكل مباشر.

انتابته بعض الحيرة في الخطوة التالية، فهل يقوم بإرجاع جميع الجنود إلى الخلف لحماية الأفراد من آخرين يأتي بهم من صندوق الألعاب أم يتركهم في مواجهة الأفراد داخل الدائرة !

سريعاً ما خطرت له فكرة جديدة، فأتى بأشخاص جدد جعلهم في دائرة أوسع من دائرة العسكر، ثم حرك بعض العساكر فقاموا بضرب الأفراد بالأسلحة داخل الدائرة، وبالتالي أصبح يحرك الأفراد لتضرب العسكر بأيديهم ... فسقط من الأفراد من سقط وسقط من العسكر من سقط، ثم حرك الأشخاص الخارجين الآتين من الخلف فقتلوا معظم ما بقى من الجنود، ومعظم ما بقى من الأفراد ثم لم يبقى إثر ذلك سوى القليل، فضربهم جميعاً بيده ليأتي بالطعام الذي تركته له امه، فقد تمكن الجوع منه، ثم عاد بطعامه آخذاً في النظر إلى مشهده المدَمَّر، فلم يجد منه باقياً إلا القائد الأعلى جالساً على كرسيه ... لم يسقط بعد فقرر أن يسقطه هو الآخر، ولكن بعد أن ينتهي من طعامه.

25 يناير 2012

مصريٌ هو

ما أن فتحت باب شقتي منتوية ذهابي إلي عملي حتى فتح "عم سليم" صاحب العقار الذي يسكن بالشقة المقابلة باب شقته منتوياً ذهابه إلي عمله هو الآخر فدار بيننا الحوار الصباحي اليومي الذي لا يشترط فيه أن يتقابل وجهانا.

صباح الخير.

صباح الخير يا عم سليم.

صباحك مبارك.

حيث يسبق أحدنا الآخر داهساً درجات السلم ضاغطاً للوقت وصولاً إلي غايته.

أما اليوم فقد تقابل وجهانا لبضع ثوان انطلق بعدها عم سليم تاركاً لي المفاجأة والحيرة وأسئلة قد استقرت برأسي.

دهست أنا الأخرى درجات السلم ذاتها والتي لم تصنع إلا كي تدهس بالأقدام، وبالرغم من ذلك فهي صامدة تتحمل الصعود والهبوط.

وما أن صرت بالشارع حتى وقع ناظري علي "عم سليم" أمام عربة الفول يفرك رغيفين من الخبز ثم يضرب أحدهما بالآخر بادئاً في تناول

إفطاره.

لم يكن ذلك المشهد بالجديد بالنسبة لي، ولكن الجديد يكمن في وجه "عم سليم" بعد أن تخلى عن لحيته التي أطلقها بالعام الماضي عن كامل اقتناع.

اتجهت في طريقي إلي موقف الميكروباص، وكل ما يشغل الناس أثناء ذلك هو ما حدث بالأيام الماضية من ثورة أو انقلاب عسكري، وما يحدث ، وما سيحدث من رد فعل من الجانب الآخر بعد عزل الرئيس أو إقصاؤه أو القبض عليه أو إخفاؤه أو اعتقاله .. كلٍ بطريقة تفكيره وتعبيره.

كثُر أيضاً الحديث عن هذا الرجل الذي ولد بطلاً من بطن البلد أو ذاك الانقلابي الخائن والذي تخطي حاجز الشرعية.

صار الجميع يتحدثون بالسياسة رجالاً ونساءاً وحتي صبية وأطفالاً .. إلي أن ركبت بالميكروباص فوجدت السائق (يلعن دي بلد، اللي مش عارفين ناكل فيها عيش) علي حد تعبيره، بعد أن أخذ يقص علينا كيفية "تثبيته" بعد يوم شاق من العمل وسرقة كل ما تحصل عليه، أما أنا فلم يشغلني ما قصة السائق فلا زلت متحيرة من موقف "عم سليم"، والذي كان قد أطلق لحيته متشبهاً بالرئيس متفاخراً قائلاً حينما كان يسئل في ذلك .(إذا كان رئيسنا ذات نفسه ملتحي).

عم سليم هو ذلك الذي بكي حزناً من قبل حتى أصيب بالإعياء حينما خُلع الرئيس الأسبق والذي كان يحبه كثيراً حتى أنه قد أطلق اسمه علي أكبر أبناءه.

بالرغم من ذلك فهو لم يكن منافقاً يوماً ولا منتفعاً وإنما أحبه حباً كثيراً حتى أنه لم يتخلى عن ذلك الحب إلا حينما علم أن أمواله وأموال من حوله قد حدث لها تضخماً، وهو ذو الخمسة وأربعين عاماً لا يملك سوي مرتبه الذي بالكاد يكفيه وأبناءه، وذلك العقار ذو الثلاثة طوابق

في هذا الحي الشعبي، والذي ورثه عن أبيه كونه الابن الوحيد.

وبعد كفاح مرير صار العقار ثلاثة طوابق وغرفتين فوق السطح يسكنهم للطلبة، وهذا هو أقصى تضخم قد حدث لأمواله.

فصار بعد ذلك يتفاخر بتلك الصورة التي يقبل بها ضابط الجيش الذي التقى به مصادفةً أثناء تأدية خدمته في أحد الميادين، ثم خبأها بعد ذلك ليغير الحال إلي حال أفضل بتصويته لمن سُميّ فيما بعد معزول، هذا ما شعر به وقت فوزه ووقت وقوفه في الميدان فاتحاً جاكيت بزته لا يخشى رصاصة غدر فشعر أننا عدنا إلي زمن الأبطال أو انتقل إلينا زمنهم.

فلم ينزل ميدان التحرير في يوم 30 يونيو كما لم ينزله في يوم 25 يناير من قبل، لكنه أيضاً لم يتواجد بميدان رابعة العدوية فقد كان في ذلك اليوم حزيناً فلم يخرج من منزله ولا حتى من غرفته، ولكنه اليوم قد خرج من منزله عائداً إلي نشاطه تاركاً شعيرات لحيته لتتساقط في بالوعة الحوض راجعاً إلي يومياته العادية والتي لم تتغير برغم كل ما مر من أحداث.

ساعاتُ ما بين الماضي والآتي

2014 هذا العام الجديد الذي أطل علينا برأسه من وراء المجهول فرحبنا به رغم عدم وضوح ملامحه، فذهبنا أنا وأولادي للعشاء في إحدى المطاعم – علي غير العادة في مثل هذه الليلة، احتفالاً بإطلالته.

أشياء كثيرة منذ خروجنا من المنزل، تساعدنا علي الاندفاع إلي دائرة المحتفلين بهذه الليلة ..

فقد امتلأت معظم المحال بزينات ملونة، وبالونات، وكتابات علي زجاج المحلات، الذي يظهر كل ذلك – توحي بأن هذا العام الجديد سعيد، وأن عيد الميلاد سعيد، رغم الخشية من حدوث عكس ذلك، فازددنا تفاؤلاً وأنقصنا قلقاً.

إلي أن وصلنا إلي المطعم، فوجدنا علي بابه ذلك العجوز ذا الزي الأحمر واللحية البيضاء منتفخ بالهواء فاحتضنه أولادي طالبين مني أن ألتقط لهم بعض الصور معه – ففعلت للذكرى.

تركناه مستمراً في دوره واتجهنا إلي إحدى الطاولات متخللين هدوء المكان ..

فالجالسين إما آخذين في تناول طعامهم، وإما باقين في انتظار

الطعام، فانتسبنا نحن بعد طلب وجبتنا إلي فريق المنتظرين الناظرين إلي الوجوه وإلي الأطباق المحملة بالطعام ذهاباً إلي الطاولات، وإلي الأطباق المفرغة منه إياباً من طاولات أخرى، تتخلل أنوفنا رائحة شواء اللحم فتزيد من شعورنا بالاحتياج إلي الطعام، ومع كل ذلك فالمكان يخيم عليه الصمت فالآكلون آكلون في صمت، والمنتظرون منتظرون في نفس الصمت، والعاملون عاملون داخل دائرة الصمت نفسها، لا يتخلل ذلك الصمت سوى أصوات استخدام أدوات الموائد، ووضع أطباق الطعام ورفعها وأصوات خطوات التاركين للمكان والآتيين إليه وبعض كلمات وعبارات من ضروريات المشهد وكأن الجميع يتعجل انتهاء الليلة، وكأن من آتي لم يأت للاحتفال بقدوم العام الجديد وإنما أتى للاحتفال بانتهاء العام الماضي في أواخر ساعاته، وقد مر به ما مر من الجديد علي مسامعنا، وعلي أعيننا، وعلي عقولنا، فبالكاد أدركنا أننا مازلنا في بلدنا، فتقبلنا رغماً عنا أصوات الطلقات النارية والانفجارات الغادرة، ومناظر الدماء ورائحته في تراب الطرقات.

قُدم لنا الطعام، فطعمنا في عجالة كما فعل السابقون، ثم تركنا المطعم في طريق العودة إلي المنزل، مشترين من "الطراطير" الملونة مقدار عددنا، فالتقطنا بعض الصور واضعينها فوق رؤوسنا، وبمجرد وصولنا قمنا بنشر ابتساماتنا في صورنا ليراها أصدقائنا علي "فيس بوك".

وبعدها اجتمعنا ما بين الساعة والتليفزيون نستمع إلي الجديد من الأخبار في هذه الدقائق المتلاحمة كي تصنع الوقت المتبقي في عام 2013.

ليلة العيد

مُلئت آمالاً حتى انفجرت بصوتٍ حفيض نبع من داخلي فبإشارة مني التصق بورقة أصبحت به ذات قيمة، فوضعتها في صندوق ممتلئ بالأصوات يدفع بعضها البعض في محاولة لإثبات كونها، فتلاحمت سريعاً كونها كيان واحد .. فانفجرت بنعم لدستور 2014 .

مشيت في ليل الشارع المضيء بمصابيح المحلات ولافتاتها أنظر إلي الوجوه واستمع إلي الكلام المبعثر أمام فتارين المحال، فأحاول استيعاب ما لم أتمكن من استيعابه حينما كنت في لجنتي، فقد دخلتها وحدي وخرجت منها وحدي، ذلك لأنني اتجهت إليها قبل انتهاء فترة التصويت بدقائق قليلة .. فوجدت الأغلبين باسمين متحدثين عن الغد الأفضل باختلاف أشكاله بما يتناسب مع آمال كل منهم .. أسرعت بالعودة إلي منزلي، وأمسكت قلماً وورقة بيضاء ثم كتبت عليها بصوت مرتفع، وبعيون باسمة .. "نعم أوافق علي مشروع تعديلات دستور جمهورية مصر العربية".

جلست بعد ذلك غير قلقة أمام شاشة التليفزيون في انتظار إعلان نتيجة الاستفتاء، وما أن أعلنت حتى شعرت بأن مصر في هذه اللحظة قد اغتسلت لترتدي ثوباً جديداً فاغتسلت أنا أيضاً وارتديت ثوباً جديداً اقتداءاً بها، ثم ذهبت إلي فراشي فرحة، فتركتُني للنوم غنيمة فبت أحلم

بالغد الأفضل، غير ناظرة لذلك الزوج الذي قاطع كل ما حدث .. رافضة فرضه أحلاماً لم أحلم بها وآمالاً لم آملها.

عنوان بلا عنوان

جمهـــــورية الســـــودان

الخرطوم جنوب ص.ب: 5110

رقـــم بـــريـــدي: 1211

رشـــا الطاهـــر عبد القيـوم

عنوان طالما ترددت عليه خطاباتي، اسم طالما كان يلهو فرحاً ما بين عبارتي "المرسل إليه، الراسل"، حتى أحبار أقلامنا دائماً ما كانت تتمنى أن تلتصق بأظرف خطاباتنا لتبرع في رسم لوحة هذا الاسم.. على ظهرها كان أم علي وجهها، إلى أن انكسرت جميعها حزناً حينما توقفت رسائلنا عن السفر ذاهبة كانت أم عائدة.

ذكريات صبانا، وأفراحنا، وأحزاننا، وآمالنا اصطفت جميعها أمام عيني حين فتحت حقيبة الخطابات القديمة، ووجدتها قد ذبلت، وأعتلتها صفرة.والتصق كل منها بالآخر محاولاً إشباع شوقه لخطاب جديد ينعشها ويكسر صفرة جميع الخطابات.

قرأت واحداً تلو الآخر بغير ترتيب تاريخي بكيت... لا أعرف إن كان تشوقاً إلي أيام قضيناها سوياً في السودان، ثم في مصر عبر خطابات جعلتني كنت أتخيل أنها قد عادت معي إلى مصر حينما عدت وعائلتي.

أم كان حنيناً إلى صديقتي المقربة التي افتدقتها حينما أصبحت لا أعرف لها "عنواناً أرسل إليه" ...

توغلت في الذكريات مع كل خطاب، فعدت إلى ما قبل الخطابات وأيام كنا أنا وهي سوياً في المدرسة الثانوية المصرية بالسودان وكيف ضحكنا وبكينا وأملنا وحلمنا... إلى أن افترقنا بانتهاء فترة انتداب والدي بالري المصري بالخرطوم كمدير للحسابات، فعدت إلى مصر، ومعي منها صورة وعنوان أصبح ابتسامة على أوجه خطابات نتراسلها.

كبرت أحلامنا كما كبرت عقولنا وأجسادنا ولا زالت تشجع كلماتنا بعضنا البعض في كل مراحل حياة كل منا.

تزوجت وتركت عنوان بيتنا إلى عنوان آخر جديد وتركت عائلتي بيتنا إلى بيت جديد بعنوان جديد أرسلتهما إليها فلم يصلاها فقد كانت قد تزوجت أيضاً وسافرت إلى المملكة العربية السعودية مع زوجها — في ذات التوقيت — ثم لم تستطع أن ترسل إليّ بعنوانها الجديد، وأصبح عنوانها القديم حينما أرسل إليه خطاباتي لا يعود إليّ على ظهر خطاب كما تعوّدت.. فكرت قدر استطاعتي لكني لم أستطع أن أصل إلى عنوان لهذا العنوان.فقد ضاعت مني وضعت منها ولم يبق لي سوى حقيبة خطابات تمتلئ بعنوانها القديم.

أغلقت الحقيبة وقد علقت في ذاكرتي كلمات طالما أحبت أن ترددها في كثير من خطاباتي

"في كل عام كنت زهرة مشتاقة تهفو

إليك

في كل عام كنت أقطف بعض أيامي وأنثرها عبيراً في يديك

في كل عام كانت الأحلام بستاناً يزين مقلتي

ومقلتيك

فـــي كـــل عـــام كـــنت ترحل يـــا حبيبـــي فـــي دمــــــي

وتدور ثم تدور ثم تعود في قلبي لتســــكن

شـــــاطئيك

لكن أزهار الشتاء بخيلة بخلت على قلبي كما بخلت

عليك.

عذراً حبيبي إن أتيت بدون أزهاري لألقي بعض أحزاني

لديــــــك"

أمسكت بقلمي وفتحت دفتري وكتبت لها خطاباً ووضعته في ظرف أبيض، ثم كتبت عليه.

جمهـــــورية الســـــودان
الخرطوم جنوب ص.ب: 5110
رقـــم بـــريـــدي: 1211
رشـــا الطاهـــــر عبد القيوم

ثم وضعته في حقيبة الحطابات وسط الخطابات القديمة معيدة اياها الى مكانها .

إهداء إلي / الصديقة رشا .

الحذاء

كنت جالسة وقت الذروة علي أحد مقاعد محطة الشهداء .. كان الناس يتعجلون الذهاب والإياب والركوب والنزول فيتدافعون من أجل كل شيء وأي شيء، أما أنا فقد كنت في حالة دوار جعلتني لا أقوى علي القيام من مجلسي والاندماج في هذا المشهد ككل يوم، فاكتفيتُ بدورٍ بسيط فوق هذا المقعد الذي اعتاد أن يحتمل آلام الناس.

ظللت جالسة .... واضعة يدي علي جبهتي لا أرى سوى أحذية تروح وتجيء إلي أن استقر أحدها أمامي مباشرةً فكان بالياً .. شديد الاهتراء – مغبر الوجه ... يكاد يختفي نعلاه من وقع الضغط عليه، فرفعت ناظريَّ لأجد رجلاً شديد البدانة آخذا في التهام "ساندوتشاً" كبيرا .... لا يشعر بحذائه المضغوط.

فوجدتني أدفعه بكلتا يداي علّهُ يرفع عنه قدميه ليتنفس قليلاً، فإذا بالحذاء قد انفجر عن جوانبه نتيجة لذلك.

التفت إليّ في تعجب، فاعتذرت له فعاد ليكمل طعامه دونما تعليق، ودون أن يشعر بما حدث لحذائه ظلت عيناي متعلقة بالحذاء إلي أن دُفع –مع المدفوع بها من أحذية– تجاه أحد أبواب "المترو" فركب منضغطاً حتى أُغلقت الأبواب وانطلق القطار بمن يحمل.

شعرت بتحسن فنظرت للساعة والتي أشارت عقاربها إلي وجوب العودة إلي منزلنا، فأخرجت هاتفي المحمول فوجدت ما يعني أن زوجي وأبنائي في انتظاري، وأنه ما كان يحق لي أن أتأخر.

فتركت المقعد لغيري ممن يتلهف علي أخذ دوري فاندفعت مع المندفعين باتجاه أحد أبواب "المترو" عائدة بذلك إلي دوري الأساسي.

قلب التفاحة

وقفتُ مشاهدة له غير متحدثة .. أرقبه وهو يُقطع تفاحته الحمراء بدقة إلى أجزاء شبه متساوية، ثم أخذ يتناولها بعدما ألقى بقلبها في المهملات.

فهذي خيانته للمرة الخامسة خلال الثلاث سنوات الأخيرة من حياتنا سوياً، وتلك كانت أكاذيبه التي كنت أنتظرها في كل مرة كي لا أصدق غيرها، متمنيّة إرضاءه لي ببضع كلمات أو هدية غير ذات قيمة إلا عندي .. فقد تعود الخيانة وتعودت السماح لكني المرة أقف حائرة أمام خيانته ويقف متجبراً أمام حيرتي، لا ينتظر سماحي، ولا أنتظر إرضاءه لي فأشعر أنه قد تصلب في شراييني فأصبح لا يدور ولا يعود ليرتكز في قلبي، لكنه أيضاً أصبح حائلاً بيني وبين الحياة تركته وقد التهم تفاحته عن آخرها.

ذهبت إلى غرفة نومنا نظرت إلى حقيبتي السفر فوق الدولاب واللتان لم أستخدمها من قبل، ثم ألقيت نظرة على جميع الغرفة ...

ذهبت إلى غرفة ولديّ فألقيت بنظرة أخرى على جميع غرفتهما ثم على نباتهما وورودهمَا في الشرفة التي تعودا الاعتناء بها.

ثم عدت فأنزلت الحقيبتين من فوق الدولاب ففتحت إحداها وأخذت

أصفف بعض ملابسي وحاجياتي... ثم لم أكمل ذلك، فأسرعت إلى غرفة ولديّ حاملة الحقيبة الأخرى، فانتقيت من ملابسهم، وألعابهم، وأحذيتهم، وأدواتهم الدراسية بعضها، فبدأت أرتب بداخلها بعض تلك الأشياء، ثم لم أكمل أيضاً.

فرجعت إلى غرفتي، وبدلت ملابسي، وحملت حقيبة يدي الصغيرة.. ثم فتحت بابي مسرعة فتخطيت الشارع ومررت من باب حديقة الأحلام المفتوح دائماً للجميع فجلست في ركن على الأرض منكمشة بين ذراعيّ، ثم أغمضت عيني لوقت لم أنتبه لمقداره، فلم أحلم بشيء، ففتحتهما إثر رائحة كريهة فرضت نفسها على حاستي.. أخذت أدقق فيما حولي فما وجدت إلا أرضاً ناحلة الخضرة.. فاقدة الزهور لا تحمل سوى فضلات الآخرين.

فحملت حالي واتجهت إلى مدرسة ولديّ، فأخذتهما عائدين في طريقنا إلى المنزل كل منهما سعيد يشير بإصبعه الصغير إلى كل جميل يمر بنا أو نمر به. عدنا فلم نر حذائه أمام باب المنزل كما تعود أن يفعل، ولم نشعر بوجوده داخل المنزل كما كان ذلك متوقعاً، فقد اعتاد الذهاب طيلة اليوم والعودة في أواخر الليل.

أعددنا طعامنا ثم تناولناه سوياً ... رتبنا كل شيء في مكانه ثم أعدت الحقيبتين إلى مكانهما ... أدينا واجباتنا ثم جلسنا أمام التلفاز قليلاً .. أحضرنا بعد ذلك لوحة صغيرة بيضاء قد اشتريناها من قبل فكتبت عليها بخط أسود كبير "الزيارة ممنوعة" ثم ألصقناها على باب منزلنا قبل أن نحكم إغلاقه وبعدها خلدنا إلى نومنا مطمئنين بعد تناول وجبة عشاء خفيفة.

آمال مقيدة

تتداخل الموضوعات بعضها مع بعض، وتتشابك الكلمات المتساقطة من كل موضوع وسط الأفراد المتلاحمة بباطن أحد الأتوبيسات، إلى أن سقطت إحداها خطأ على مسمعي "بحبك" كان قائلها واقفاً على يساري، فتشربها قلبي المتعطش فلم تصلها على يميني ... تماسكت فلم أستسلم لقوة الدفع، وحتى لم أنزل في محطتي بل في التالية لها... معهما.

تابعت تشابك أصابعهما، ومشيهما بخطوات متباطئة، ثم توديعهما لبعضهما البعض في شوق متزايد بابتعاد كل منهما عن الآخر.

وجدتني وسط زحام زوار سيدنا الحسين فاتجهت إلى مسجده، فتوضأت وصليت ثم أخذت أبكي أمام ضريحه داعية ربي أن يحقق لي مرادي.

"تمنيت يوماً أن أصبح زوجةً وأماً، ثم تمنيت لو أصبح حتى زوجة، ثم حلمت أن استمتع بفترة خطبة سعيدة أو غير سعيدة فأخيراً تعطشت إلى أن يطرق بابي رجلاً يشعرني أني فتاة".

قد تعديت الثلاثين عاماً بخمس أخريات.. وحزن أمي الدائم ودعاء أبي في صلواته وقلق أخواتي الكبريات وتمنيهنّ أن يكون لي بيتاً

مثلهنّ. كل ذلك لم يتحقق لي... حلمي العادي.

اتجهت عائدة إلى المنزل راضية النفس، وما أن فتحت الباب بمفاتيحي حتى وجدت الحلم البعيد الذي تصورت أنه استحال في آخر مراحله قد هان واقترب.

فابن عمي جالس على أحد مقاعد الصالون بعد خمسة عشر عاماً لم يدخل فيها منزلنا لرفضي طلبه الزواج مني لعدم التكافؤ في المستوى التعليمي بيني وبينه ترى ..؟!

لم ألبث حتى أتعجب أو أتحيّر، فقد قابلني والدي بفرحة في عينيه، وابتسامة على ثغره، وقبلتين على خديّ، وحضن أبوي دافئ، ثم ...... "مبروك يا بنتي".

سلمت على ابن عمي بخجل العروس العادي، وسلم على هو بحب وشوق ممتزجين بثقة بالنفس.

إنه لم يزدد علماً عما سبق، ولكنه ازداد مالاً بعد سفره لأمريكا لسنوات طوال لحقت بسنوات عمري فأكثَرَت منها.

فتح لي علبة قطيفة حمراء بها طاقم ذهبي قيّم.

قال لي إنها هدية بسيطة، وأنه سيأتيني بأقيم منها كشبكة لي..!

ثم أخذ يروي بكلماته ذلك الجزء الذي كان قد جف بقلبي فانتعش وأخذ يتراقص بدقاته الفرحة.

أفلت من داخلي سؤال لم أستطع الإمساك به "ألم تحب امرأة غيري طيلة خمسة عشر عاماً مضت"؟ أقسم أنه لم يحب غيري رغم زواجه من غيري.

صدمني جوابه وقبل أن يتسلل السؤال التالي من داخلي.. أجابني بأنها زوجة أمريكية أحبته كثيراً وفتحت له أبوابالامال لم تكن لتتحقق

دون الزواج منها، لكنها لم تستطيع أن تتعايش مع اللاحب الذي بداخله تجاهها.

لم يسعدني كلامه، لكنه أيضاً لم يؤثر على قرار قبولي الزواج منه.

فبدت على شفتي ابتسامة كابتسامة العروس السعيدة مع إيماءة برأسي بالموافقة على سؤاله إن كنت أوافق على السفر معه بعد الزواج أم لا.

ثم حدد مبدئياً ميعاداً لزفافنا في نهاية الأسبوع المقبل استغلالاً لما بقى من أيام إقامته بالقاهرة فلم أبدِ قبولاً ولا رفضاً، فأخذت علبة الذهب لأريها لأمي التي ما أن رأتها حتى أطلقت الزغاريد متتالية.

الصعود إلى اسفل

العصفوران في القفص يطارد أحدهما الآخر ...

صوت أم كلثوم «عايزنا نرجع زي زمان .. قول للزمان إرجع يا زمان».

يلقى على مسامعي إحدى قصائده الشعرية فيطغى صوته تارةً على صوتها، ويهدأ تارة عندما تتحداه بقوة صوتها.

لم أسمع قدر ما ألقى من قصيدته، ولم أسمع كامل ما غنت أم كلثوم.. اختلطت كلماتها بكلماته .. كربائها بمناجاته.

تزاحم كل ما سبق منحشراً في أذني متسللاً إلى صدري .. ضاغطاً على ما به. وصل إلى قمة انفعالاته، فوصلت إلى قمة اختناقي «كفاية».

أسرعت ففتحت الباب لأحد العصفورين وأغلقته على الآخر، فذهب إلى حديث لا يدريان، ثم أغلقت الشرفة بقوة كي لا أرى الآخر، وكي أخفض من صوت أم كلثوم الآتي من عند الجيران.

قطع هو صمت ذهوله بسؤال عن غضبي، فوقفت حائرة للحظات، ثم طلبت منه أن ينفرد كلٌ منا بنفسه قليلاً كي يعرف مدى رضاها عن حياتنا.

وافق دون أن يلفظ حتى بكلمة فقد انطلقت فوراً إلى غرفتي، وأغلقت بابي، ففتحت باباً آخر إلى خارجي.

خرج من المنزل متجهاً إلى حيث لا أدري، فخرجت من غرفتي مكثرة من قراراتي المراقبه لكرامتي فلم يعد شاعري بعدما حملت كلماته في بطونها أكثر من معنى، ونظرت إليّ الخيانة خائنةً له تكاد تخبرني عبر أحرف كلماته.

سأنتزعني من حياته، أو أنتزعه من داخلي.

جلست على مقعدي المفضل منفردة بنفسي.. محللة قراراتي ناظرة إلى حقيبة سفري التي جهزتها.. غير متصورة وجودي في بيت أخي الضئيل ذو الغرفتين في قريتنا الصغيرة في عميق أحد المراكز المجهولة في الصعيد، ووسط زوجته وبناته الخمس.

أسرعت إلى حقيبة سفري فأفرغتها مما وضعته بها متراجعة في أهم قراراتي، ثم أخذت أتصورني ثائرة عليه غير خائفة من وحدتي أمامه رافضة أشياءاً كثيرة لم أعتد رفضها.

مرت ساعات وأنا في مجلسي مع نفسي أناقش قراراتي معها.

فُتح الباب أخيراً .. وقفت ناظرة إليه، غير ناظر هو إليّ فقد اتجه إلى الغرفة فبدّل ملابسه، ثم طلب مني كوباً من الشاي فتحركت من مكاني مسرعة لإعداده، ثم عدت فقدمته له.

جلست على مقعدي المفضل بجانبه استمع رغماً عني إلى إحدى قصائده التي يلقها امام نفسه بصوت مرتفع.

متسع من الحياة

أصبح زوج أمي أكثر حدة من أظافر الزمن التي حفرت على وجهها الخطوط العرجاء عنوة رغم عدم كبر سنها.

استيقظت على صرخة ألم من أمي قبيل الفجر.

بعد ما صفعها بقوة ... خرجت مسرعة من غرفتي ...ُ خرج من غرفة أمي غاضباً، ساباً إياها ، واعداً متوعداً .. مسقماً بعدم العودة ثانيةً.

أزاحني عن طريقه، كانت آخر كلماته قبل أن يغلق خلفه باب المنزل أنه عائد للحياة في بيت زوجته الأولى وبين أبنائه وأنه سيتركنا نموت جوعاً، فلا حاجة له بامرأة مريضة تأخذ أكثر مما تعطي.

لم أتمالك نفسي من السعادة .. فرفعت يدي شاكرة رَبي برغم بكاء أمي... اتسع لي بيتنا الضيف... فتحت ذراعي وأخذت أدور في كل مكان متنفسة هواءاً جديداً، ثم أسرعت إلى حضن أمي كي أنهل منه كل ما أحتاجه، فهو الآن لي وحدي.

احتضنتني أمي بعمق باكية، كاتمة ألمها في صدرها المريض فجرحها حديث إثر العملية الجراحية التي أجريت لها نتيجة لاكتشافها ذلك المرض اللعين.

تنبهت لذلك حين نظرت إلى وجهها فابتعدت، وأخذت ألملم علب الدواء التي ألقاها زوجها جميعاً على الأرض.

ابتلعت أمي دوائها، ثم اطمئنت في نومها بعدما أخبرتها أني سأذهب لأبي في الصباح الباكر.

حملت رسالتها في قلبي سعيدة بها "قولي له إنه الراجل الوحيد اللي عاش في البيت ده".

ذهبت إلى غرفتي ... أخرجت مسبحة أبي.. اخذت أتأملها، فهي كل ما تبقى لي من آثاره بعد أن باع زوج أمي كل شيء لتاجر "الروبابيكيا" ثم اختلس حياتنا. مضت بضع ساعات حاملة على أعناقها ذكريات سنوات كثيرة، حزينة.

أشرقت الشمس أخيراً ... ارتديت ملابسي ... خرجت من المنزل منتوية تبليغ رسالة أمي.

وقفت أمام قبر أبي ... أغمضت عيني واحتضنته فأبلغته رسالة أمي.. كان سعيداً جداً... أخبرني بأنه سيعود ليعيش بيننا، سوف يحمينا. فتحت عيني، وأخرجت كتاب الله من حقيبتني، وأخذت أقرأ ما تيسر ، ثم عدت في طريقي مطمئنة .. راضية .. سعيدة بنا.

شيءٌ ما .. خافِت

يغلق نافذة حجرته السمراء النحيفة .. يتابع بناظريه فراشه قد احتبست تحاول الخروج برغم اللامنفذ ... ترى نفسها في المرآة .. تحاول الاقتراب منها فتصطدم بها ... تكرر المحاولة، فتقف على أرجلها الثمانية دونما حل ... تبتعد ... تقترب من أمه .. تقف على الزجاج الفاصلها عن العالم الخارجي.

يسارع بفتح النافذة ثم يزيحها، فتذهب حيثما تشاء ويبقى هو أمام أمه مخلفاً وراءه الغرفة بطولها بما تحوي من دولاب تحرر الليلة فقط من عبودية ثلاث سنوات، فلم يعد يحمل على عاتقه حقيبة السفر الفارغة، وسرير يحمله وأخرى داخل بضع اوراق ملونة.

ينتابه شعور قوي بالضياع ... ينزلها لحد مستواه .. يضع رأسه على صدرها ...

شيء قوي رغم ضعفه وشفافيته يحول بينه وبينها ... يكسره بشيء ما، ويزيحه بيده، ثم يضع رأسه على صدرها مباشرةً ... يسمع دقات قلبها ... تقبله في رأسه ... فلم تعد حادة النظرة صارمة الملامح كما كان يراها مسبقاً منذ أتى بها إلى ذلك الركن من الغرفة .. يبكي على صدرها ... يلتف ذراعاها حول رأسه يعاود النظر إلى عينيها فيجدها كما هي حادة النظر صارمة الملامح.

يرفعها ثانية إلى مستواها العلي فوق صدر الحائط.

يأتي بالسكين فيذبح الأخرى في كل الأوراق الملونة ثم يوجه طعناته إلى جميع هواء الغرفة ... يلقي بالكتب جميعها من فوق الحامل الخشبي الضعيف الذي تنفس الصعداء... "لم تعد بعد مغلوباً على أمرك"... يقولها وهو يلقي بالحامل الخشبي من النافذة، يضع قدميه على أعناق كل النظريات التي قرأها.

يمسك برأسها المفصول عن باقيها.. يتفحصها بناظريه ..

"الزواج يا أمي إيجاب وقبول واتفاق بين طرفين لا أكثر ولا أقل، وقد تزوجت" .. يعتصره بين أصابعه .. يلقه أرضاً ...

"اتفقنا مسبقاً على الانفصال إذا ما رأى أي منا أن صالحه ليس مع الآخر ... وأنا أحببت "______" ... وأحبني واتفقنا على "______".

يجلس على أحد مقاعد سيارة موضوع على مؤخرتها لافتة مكتوب عليها "أجرة". يتذكر قسم أمه بأنها ستوصي الأخرين بألا يعلمونه بوفاتها فهي لا تريده ورائها مازال على ذلك النهج.

يبكي على قبر أمه كما لم يفعل من قبل ... يملأ رئتيه برائحتها ... يعتدل في وقفته يهز يده في الفراغ المقابل ضاماً إياها على اللاشيء مردداً .. "سعيكم مشكور ... الشدة بالله ".

آخراً متأخراً

بكائه على قبر أمه كان مولداً لمجموعة أحاسيس لم يحسها من قبل... توسل إليها أن تسامحه ... استعطفها شاعراً أنها تشعر بوجوده بجانبها، ثم أخبرها أنه سيأتيها كثيراً محاولاً تعويضها عن ابتعاده عنها في أوقات احتاجت إليه فلم تجده.

أمسك بعصا منكسرة ملقاة على الأرض، فحفر بها كلمة "النهاية" فوق التراب الكثيف أمام فوهة القبر.

ألقى على أمه السلام ثم ذهب.

أخذته خطواته في خط مستقيم إلى باب أحد المساجد ... شيء ما بداخله دفعه إلى الدخول ... تذكر أيام كان يصطحبه أبوه معه إلى المسجد طفلاً، ثم صبياً، ثم تمرده عليه وعصيانه لأمره في مستهل شبابه.

اتجه إلى حيث يتوضأ المصلون ففعل مثلهم ... ثم ذهب ليصلي فكيفية الوضوء والصلاة وبعض سور القرآن الكريم منقوشة في ذاكرته رغم تركه للصلاة لسنوات طوال.

أطال سجداته تائباً ... مستغفراً ... باكياً...

خرج من المسجد بعد إتمام صلاته متجهاً إلى منزل والده باحثاً عن كلمات اعتذار يقدمها له علـّـه ينال رضاه أو شيئاً منه..

تراءت أمام عينيه مشاداته الدائمة مع أبيه، وحديثه الدائم عن الحرية الشخصية، وعدم سماحه له بالتدخل في حياته بأي شكل من الأشكال فرضاءه أو عدمه لا يمثل شيئاً بالنسبة له فليس له فضل عليه كونه والده بل هو الذي فضله عليه كونه ابنه فقد كان سبباً في أبوّته، وأن تربيته له وحرصه على تعليمه ما هي إلا إشباع لرغبته في أن يكون له ابناً مهذباً متعلماً يتفاخر به أمام أصدقائه وأقاربه ليس إلا.

مراره في حلقه، وإحساس بالندم والحسرة يعتصر قلبه ثم بريق أمل بانتواثة استسماح والده ..

سيخبره أنه قطع صلته بالمرأة التي تزوجها بالإيجاب والقبول والاتفاق فقط دون توثيق ذلك بالأوراق الرسمية ودون إشهار ودون رضا والدته عن ذلك ودون حفل زفاف يسعدهما.

وأنه قطع صلته أيضاً بمقهي وسط البلد ورفقاء اللاشيء وكفر بكل المعتقدات الخاطئة التي طالما صدقها وآمن بها.

تزاحم الخوف مع القلق مع الرهبة حينما وجد نفسه أمام مدخل العمارة.

دخل ... تباطأت خطواته على درجات السلم ... إلى أن وصل أمام باب الشقة، أخرج سلسلة مفاتيحه ... انتقى مفتاح الباب من بين مجموعة المفاتيح موجهاً إياه إلى موضوعه... صرخة مدوية خلف الباب ... كلمة "بـابـا" بصوت أخته ممتزجة ببكائها وصراخها ... سقطت سلسلة المفاتيح وكاد أن يسقط قلبه فزعاً.

فُتِّحَت أبواب الجيران وتدافعوا نحوه ثم أخذوا يطرقون الباب غير مبالين بوجوده.

انهالت أيديهم على الباب طرقاً إلى أن فُتح ... فدُفع إلى الداخل.

وقف امام والده الممدد علي السرير آسفاً ونادماً ومتحسراً... لم يستطيع أن يخبره بأي شيء مما انتوى ... فقد مات هو الآخر دون أن يسامحه.

الدرج صعوداً وهبوطاً

خرجت من طفولتها صاعدة أول درجات صباها، مرتدية جميل فساتينها مستخدمة لأول مرة شيئا من أدوات التجميل. مرتفعة فوق حذاء عالي الكعب... تبتسم إلى مرآتها خجلة منها.

خرجت من غرفتها تراقب نظرات كل من نظر إليها من أفراد أسرتها، ثم أمسكت بيد صديقتها التي كانت تنتظرها.

فخرجت معها من عالمها الصغير إلى عالم شعرت فيه أنها بذرة قمح وحيدة في مزرعة فارغة إلى منها.

تخرج للمرة الأولى للتنزه دون أحد أفراد أسرتها. أخذت تمشي وصديقتها بخطوات متأنية، وعيون متأملة لكثير مما حولها خاصةً ما يخص عمريهما من ملابس وأحذية وحقائب، وغيرها مما يتخطاه.

أخذت تلاحقهما بعض الأعين ... ارتبكتا ... أخذتا في الإسراع، ثم أحاطتهما بعض تعبيرات مداعبة لمشاعرهما الآخذة في النمو مرتفعة بأحلامهما إلى القمة... فتباطئتا ثانيةً.

لاحظت أن هناك من قصدها بذاتها ... شعرت بأنها وحدة إضاءة في شارع مظلم، فكلما سمعت ... كلما ازداد ضيائها ... تركت صديقتها ... وقفت عن طريقها ... صعدت أعلى درجات صباها وكادت تتخطاها.

اختفطت نفسها منه وصارت تجري... قافزة، فساقطة إلى ما تحت الصبا. فقد عادت إلى منزلها، ونزلت عن حذائها، وبدلت ثيابها مختبئة داخل ثوب طفولي طالما أحبته وارتاحت إليه، ثم محت آثار التجميل عائدة إلى طبيعة وجهها، ثم عائدة إلى نفسها.

قصة قصيرة

أمسك بقلمه ونظر محدقاً في كل شيء أو في لا شيء أخذ يتسلق أفكاره صاعداً حتى وصل إلى قمتها فارتكز على فكرة بذاتها، ثم أخذ يكتب في دفتره، ثم يمحو بعض ما كتب، ثم يعدل بعضه الآخر... حتى اندمج في الكتابة منتقياً ألفاظه وتعبيراته بدقة إلى أن وصل إلى مرحلة النهاية، فوضعها في بضعة كلمات حزينة، أنهى بها قصته القصيرة.

نظر إلى الساعة التي دقت دقات لم يرد عدها، فقام وأخرج منها البطاريات، شاعراً أنه لابد لعقارب الساعة أن تستريح... بدل ملابسه غير منتبهاً لتنسيقها على أكمل وجه كما تعود حينما يذهب للقائها ... أخذ يسمع الدقات هذه المرة بداخله.

ذهب في طريقه غير مسرعاً إلى أن وصل.

أخذ يبحث عنها بناظريه بين الفتيات المنتظرات على كورنيش النيل ـــ كان عليه أن يتعرف عليها بوجهها الجديد أولاً ـــ ها قد رآها مرتدية ردائها الذي كان يحب أن يراها مرتدية إياه، فلطالما أشرقت من داخله.

انتابته قشعريرة، ثم ارتعد شاعراً بالبرد رغم حرارة الشمس.

كان عليه أن يتقدم نحوها بعد أن نظرت إليه سعيدة برؤيته...

مقتربة منه ... فاقترب هو الآخر.

لم يلفظا بأي كلمة ... مشياً بخطوات متوازية ناظرة هي إلى خطواتها.. ناظراً هو إلى السماء.. وضعت يدها على جانب وجهها كأنها تختبئ من أشعة الشمس أمسك على يدها بقوة... أسرعا لا إرادياً في خطواتهما، إلى أن وصلا إلى إحدى الطاولات داخل أحد "الكازينوهات" المطلة على النيل، فجلسا متقابلين .. نظر إلى وجهها الذي يراه لأول مرة... سمع صوت الدقات من داخلها... سألته عن شكل وجهها بعد عملية التجميل التي أجريت لها، وهل اختفى أثر الحرق تماماً أم لا؟ ورغم أنها تعرف الإجابة فقد اكملت بأنها تشعر أنها أصبحت بخير، وأنها آملة أن تعود إلى طبيعتها بعد إجراء العملية التالية كما أخبرها الطبيب المعالج.

ارتاح لوأد ردوده داخل كلماتها، فلم يلفظ بكلمة.

هرب إلى النيل بناظريه مثلما هرب مسبقاً من رؤيتها منذ حدوث الحادث لها، مختبئاً في قريته البعيدة متناسياً ما حدث، محاولاً توهم أن يعود من سفرته فيجدها كما كانت، فهو لا يمكنه إلا أن يراها جميلة.

طال انتظارها كي يتحدث عما هو آت قدر ما لم يتحدث عما مضى.

كان هارباً منها إليها فهي دائماً ابنة عمه، وصديقة طفولته، ورفيقة صباه، وجارته في سكنه، ثم حبيبته وخطيبته.

عاد بناظريه فلم يجدها، فقد تركته.. شعر وكأنه قد فقد كل ذويه في لحظة واحدة، اعتدل واقفاً، عائداً إلى النيل بناظريه، ثم قافزاً بين أحضانه.

أفاق، وقد أحاط به الكثيرون .. مساعدون، ومتفرجون، ومتعجبون، وغاضبون.

استغفر الله وتاب إليه مستنكراً ما فعل... متعجباً.

عاد في طريقه إلى البيت بعدما أصبح قادراً على ذلك ينوي تعديل نهاية قصته.

وصل به "التاكسي" بالقرب من باب المنزل، فأمام الباب سيارة إسعاف محاطة بالكثير من الناس، وحبيبته آتية من داخل المنزل .. محمولة كما يُحمل الأموال مغطاة الوجه والكثيرون من حولها.



حزن الفرح

وضعت سبابتي في أذنيّ، ثم هربت إلى داخلي وأخذت أركض فلم اجد سواي فاحتويتني، وضممت ذراعيّ بذراعيّ فتقوقعت شيئاً فشيئاً في حضني..

ورغم ذلك فقد نفذ صوت أمي إلى داخلي.. يلذعني.. لم أعد أحتمل صوتها إن كان دعاءاً وتوسلاً لله أن يعيد إليّ زوجي.

خرجت من داخلي محتجة فذهبت إلى غرفة أمي لأطلب منها ألا تدعو لي بهذا الدعاء ثانيةً، فقد أصبحت أقوى بعدما تركني أستند إلى نفسي.. أفكر فيها.. أحلم لها وحدها سأعمل من أجلي... وحدي.

فتحت باب الغرفة ثم فتحت ثغري لألقي عليها احتجاجي فأغلقته ثانيةً فور وقوع ناظريّ على صورة زفافي، وهو أمامي عريساً وسيماً ينظر إلى عيني، يحتويني بذراعيه، يملأ الصورة عشقاً.

وجدتني أضعف من أن ألقي بالكلمات على مسامع أمي ولا حتى على خاطري.

لم أبالي بسؤال أمي عما أريد، فتراجعت متجهة إلى غرفتي

وأخرجت حافظة صور زفافنا.... تصفحتها... تساقطت دمعاتي على ابتساماتنا... بكيت على كل صورة ضحكنا بها.

لم أستطع أن أغلق مسامعي عن صوت قلبي وهو يدعو ويتوسل إلى الله أن يعود إلينا.

أعدت حافظة الصور مكانها وأخذت الأخرى والتي تحفظ صور صغيراتنا الثلاث "حب وسعادة وفرحة" اخترنا أسمائهن سوياً.. تمنينا أن يكبرن بين حضنينا...

"فلماذا يا حبيبي؟" تصفحها قلبي.. فضحك مع ضحكة حب ورقص مع رقصة سعادة وفرحة سوياً... أعدتها مكانها ثم أخرجت أجمل ملابسي من دولابي ... ارتديتها .. استخدمت أدوات التجميل فأبدعت في استخدامها ... خرجت من بيتي متحدية كل المشكلات آخذة قرار العودة بزوجي.

أسرعت في خطواتي مقاومة هواء الشتاء البارد، وصلت امام الشركة التي يعمل بها... وجدت سيارته بجانب أحد الأرصفة، قررت أن أفاجئه فاستندت على السيارة منتظرة خروجه ...

ها هو إنه آت سيفرح بلقائي سيأتي معي ليملأ حضنه بدفء أنفاسنا أغمضت عيني للحظات ، وأخذت أشم الوردة التي اشتريتها له في طريقي، فتعطر كل آتٍ في مخيلتي .. اهتززت من داخلي ومن خارجي فرحةً ثم فتحهما فوجدته مقبلاً، ممسكاً بيد امرأة مبتسماً من أجلها يشم وردتها التي تمسك بها......

لا يـــــرانـــــــــــــي .. !

النافذة

لم تشعر بسعادة ولا حتى بارتياح بعد مكالمة مخلص لها بالرغم من تحديدهما موعداً مبدئياً لعقد قرانهما، فقد تذكرت طفلتيها حين تركتهما باكيتين، ثم تذكرت زوجها حين توسل إليها أن تسامحه... ثم تذكرت أن مخلصاً صديق زوجها هو الذي ساعدها أن تنفصل عن زوجها بهدوء، ثم أحبها كما تمنت أن تُـحَـب، فتذكرت أيضاً أن والد ابنتيها هو الذي أحبته كما تمنت أن يُـحِـب.

تركت كل ما حدث ورائها فاتجهت بناظريها إلى النافذة.

فتحت زهرة النافذة لتسمح لنسمات الصيف الليلية بملاطفتها فتنفذ النسمات من بين خصيلات شعرها لتدخل فتداعب كل ما في الغرفة.

تلقي بناظريها على النافذة المقالبة لنافذة غرفتها ككل ليلة منذ عادت إلى بيت أبيها، فتتسلل إلى عالم الزوجين العاشقين كما اطلقت عليهما، فلطالما سهرت معهما ليلاً أمام التليفزيون، وضحكت مع ضحكاتهما، ودللت معهما طفلتهما الوحيدة التي أنجباها بعد انتظار لسنوات طوال، وشاركتهما نقاشاتهما التي لا تسمعها.

وكلما تذكرا ليلة عرسهما من خلال إحضارهما لصورة زفافهما والتحدث إلى بعضهما البعض تذكرت هي أيضاً تلك الليلة، فقد فرحت

لفرحهما.

فلطالما شعرت بأنها زهرة قبيل الربيع تكاد تتفتح في حديقة حب هذين الزوجين.

انتبهت إلى وجهها الحزين هذه الليلة وعينيها المعبأتين بدموع مسجونة ترغب الهرب إلى خارجهما.

أما هو فقد وقف خجلان أمام حزنها، وقد كانت تشير إلى صورة بيدها فتحدثت عنها كثيراً، ثم ألقتها في وجهه، فأخذت تلوح بيديها، وتروح وتجيء، وتضرب كفاً بكف فدهس الصورة بقدمه وسقطت منه دموعه رغماً عنه وأخذ يتحدث إليها راجياً، وهي واقفة كأبا الهول في شموخه، ناظرة إلى صورة عرسهما المعلقة ... تسمع ولا تتحدث، إلى أن احتجت بإلقاء الصورة أرضاً...

فسكت عن الكلام مشدوهاً للحظات، ثم اتجه إلى غرفة نومهما.

النافذة مغلقة والستائر مسدلة والغموض والصمت واضحين لدقائق.

يعود وفي يده حقيبة صغيرة .. يتجه نحو باب الشقة

تضع يدها على فمها فزعة.. ممسكة بذراعه، ثم تفرج عن دموعها، فيتركها هو مقترباً من الباب.

ها هي طفلتهما قد استيقظت باكية راكضة نحو أبيها كعادتها لتحتضن ساقيه الطويلتين بالنسبة إليها فيرفعها ليضمها إلى حضنه، فتذهب هي لتمزق الصورة التي دهسها بقدمه قدر استطاعتها، ثم تأخذ من يده الحقيبة مبتسمة رغم دموعها فترمها أرضاً فيضمها إليهما.

أغلقت زهرة النافذة وأسدلت الستار دون أن تنتبه إلى ذلك العصفور الصغير الذي كان قد اقتحم غرفتها متعلقاً بأعناق النسمات الرقيقة

فأخذ يطير هنا وهناك حتى ارتكز على شيء ما.

حينها اكتشفت أنه ليس بعصفور .. بل خفاش أسود.

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

شعاع الشمس ينفذ من بين طيات الظلام ... الدمع في أعين النبات ... الدموع في أعين الأم والأم والابن ... الشعاع يصطدم بالسكين فينغمس في الدم فيقطر معه ... السكين يهوي من يد الابن فتُطعن الأرض قلبُها ... يد مرتعدة تمتد لتمسك بطرف جلبابه، وعينان تجحظان فتجحظان فتجمدان.

النحيبِ من داخل ... داخل الابن يعلو ... الام تلطم خديها ... عيناها تغرقان ملامحها. ترتبك ... لسانها يرتعد ثم ينطق "أبوك يا حامد".

الدمع في عينيك قال لي اقتله ... الحزن في قلبك ... صوت العصا على جسدك ... "كان يكرهني".

خاضت قدماه في الوحل ... شعر أنه زُرع في الأرض مثل أعواد القطن أمامه.

سكبت الشمس نورها ... صوتاهما يختنقان ... أيديهما تستند إلى الطين فتُدفن والأب فاتح فاهه منشدوه العينين جاحظهما لا يتحرك.

رأتهم عينان .. فعينان .. فأعين.

لُطمت الصدور، ودمعت الأعين، وشقت الجلابيب، وصرخت

الحناجر، وتكاثرت الكلمات. وقلوب ترقص وشفاه تبتسم ودائرة تحيط بهم فتضيق .. فتضيق .. فتضيق.

للموتُ معانٍ أخرى

تسللت بقعة الشمس من ضلفة الشيش المفتوحة قليلاً إلى داخل الغرفة قافزة من شيء لآخر إلى أن وصلت إلى طرف السرير ثم إلى العينين المغمضتين، فكشف الجفنان عينين تكادان تشبهان البحرين في ظلمة الليل.

الفتتا فجأة ناحية الأرض، وانتفضت السيدة صاحبة البحرين الحزينين في مضجعها ثم قفزت في وهن متجهة إلى ما التفتتا إليه عيناها، وبيدين مرتعدتين التقطت الصورة التي كانت قد تحررت من سجنها بعدما انكسرت جدرانه ـ نتيجة لاحتجاج المسمار على حملها لسنوات طوال، فألقى بنفسه معها أو ألقته السنون فالنتيجة واحدة ـ واتجهتا بالصورة إلى شفتين ذابلتين اللتين طبعتها عليها القبلة الحانية.

وقامت تنظر في مرآتها ككل يوم لتقل مقولتها المعتادة منذ رحيل ابنها الأصغر منذ عشرين عاماً ... "صباح الخير يا دكتورة نادرة".

وضعت الصورة على التسريحة وما أن ارتفع عنها ناظريها حتى لمحت النتيجة المعلقة خلفها ـ في مرآتها ـ فقامت لتقطع الورقة.

لقد مضى يوم وأتى آخر، فكلها سواء ... ولكن ليس اليوم مثل أي يوم ... اليوم عيد ميلاد ابنها الأكبر ... عيد ميلاده الخامس والأربعين ... لم يقض معها سوى أكثر من نصفهم بعامين، ثم سافر ... انتظرت أن يعود لكنه لم يعد، كان يرسل بعض الخطابات ...

كان يرسلها من حين لآخر حتى أرسل الخطاب قاتلها.

توسلت إليه ألا يرحل مثل أخيه الأكبر ... ولكنه رفض ... أخبرها أن فرصة ولن تعوض ولابد من انتهازها لأن الفرصة لا تأتي إلا مرة واحدة ... قبّلت يديه ... بكت بدموعها ... بقلبها ... ولكن النتيجة دائماً واحدة

رحل هو الآخر ولم يعُد، وخطاب ثم خطاب ثم لا خطاب ولا حتى كلمة. رجعت حيث كانت الصورة، فأمسكت بها ثانية ... قبّلتهما احتضنتهما ... أخذت تحدثهما عن حالها ووحدتها، قالت لهما أنها تتمنى لو تراهما للحظة... سألتهما برحمة أبيهما أن يعودا... دخلت معهما حجراتهما ... أخبرتهما أنها لن تنشغل عنهما ثانية... لن تتركهما وحدهما... غلبها النعاس وهي على سرير أحدهما.

نامت وهي تحكي، وتتمنى، وتتوسل، ولكن هيهات أن تتركها الشمس فقد أيقظتها من جديد لتحكي وتحكي وتحكي.

برواز

وقفت أمام التسريحة ... نظرت لنفسها بانتباه ... إلى عينيها .. إلى شعرها .. إلى كلها .. دارت حول نفسها .. أخذت تحملق في المرآة .. أمسكت بجلبابها المعلق على الشماعة وأخذت تمسح المرآة بقوة، ثم أعادت النظر ... لم تر جديداً أيضاً ... نظرت للدبلة في إصبع يدها اليسرى ... سحبتها منه ... وضعتها على التسريحة أمامها ، ثم أخذت تحرك يدها حركات عشوائية. نظرت للبرواز المعلق في أحد أركان الحائط، يسكنه "عروس وعريس" نفس الصورة التي تراها صباحاً مساءاً ظهراً عصراً في أي وقت.

استخدمت أدوات التجميل الموضوعة أمامها مبالغة في استخدامها...

دقت ساعة الحائط معلنة عن الرابعة .. أحضرت التليفون، وضعته بجانبها على السرير منتظرة مكالمة زوجها، فما بين الرابعة والسادسة من كل خميس يحادثها تليفونياً.

انتظرت .. أخذت تعد حبات عقدها اللامنتهية.

تمكن الملل منها.. ضغطت على الزر المحرك لأشخاص تروح وتجيء وتضحك وتبكي داخل إطار... أحست باختناق، تمنت لو تستطيع البكاء.

علت تنهداتها وتوالت أنفاسها، أدارت مفتاح المروحة لآخره.

دق أخيراً جرس التليفون ... اختفطت السماعة.

سألها أسئلة كثيرة متتالية لم تسمعها، قاطعته "هتيجي امتى يا حبيبي ... محتاجة لك". لم تسمع منه سوى ما يعني أنه لن يستطيع الحضور لأن ذلك سيجعله يخسر الكثير وأنه هناك لمستقبلهما سوياً وليس للّهو.

وضعت السماعة موضعها قاطعةً حديثه.

فتحت باب "البلكونة" على مصراعية متحدية كل شيء ملته في الغرفة، فهي تشعر أن كل شيء فيها يسكن بروازاً لا يخرج منه أبداً حتى الهواء، فبروازه أركانه أركان الحائط الأربعة.

جلست مكانها المعتاد في "البلكونة" ترقب عصفورها الذي يسكن عشه على الشجرة أمامها ... طار متجهاً نحوها.. شعرت أنه أحس بوحدتها فجاء ليؤنسها .. دخل الغرفة .. أسرعت وراءه .. أغلقت عليهما باب "البلكونة" حاول هو الهرب فاصطدم بالمروحة فسقط ميتاً، صرخت فزعة.. حملته على يديها ... انخرطت في البكاء فلطالما تمنت أن تطير مثله وأن تطير إليه ..

آآه من داخلها ... لو لم تصنع له البرواز .. !

طرق جميعها تؤدي إلي طريق واحد

أزاح بيده صينية الطعام التي كانت قد أحضرتها أمي على مضض، ثم وضع يده على صدره فاتقط بقايا أنفاسه وبقيت عيناه تحملقان في اللاشيء.

انتقضت ضاربه على صدرها، ملقية بالطعام ...

لم أعي شيئاً مما حدث، لكنني أسرعت ورائها حيث ذهبت لإخبار أبي بأن جدي قد مات.

خرج عمي "علي" من غرفته غير مذهولاً إثر صرخة قد أطلقتها أمي... "مــات؟..." أرسل الرسول إلى المنادي ليخبر الجميع بأن شيئاً جلل قد حدث، واحتشد البيت شيئاً فشيئاً، وأولهم عمتي التي جاءت تصرخ وتلطم خديها "يا حبيبي يابوي ... سايبنا لمين يا حبيبي"، ثم حاولت الدخول إلى غرفة جدي إلا أن الجميع قد منعوها أما أبي فلم يتحرك من موضعه... واضعاً رأسه بين راحتيه ... باكياً ... والكثيرون يلتفون حوله ... يذكرونه بأنه كبير العائلة، ومن الواجب عليه أن يحتمل الموقف وأن يصمد من أجل الجميع ومن أجل ولده بالأخص.

أما أنا فلم أتمكن من الوصول إليه إلا بعدما طلب منهم أن يتركوه وحده بضع دقائق ليستجمع قواه فتسللت إليه، وأخذت

أسأله عما يحدث "لما مات جدي؟ .. وما معنى أنه مات ؟ .. وما الداعي من صراخ أمي وعويلها رغم أنها لا تحبه ولا هو يحبها ؟ ..." فلم يجب على أي من هذه الأسئلة.

ثم لاحظت أنه هو أيضاً يحملق في اللاشيء. امسكت ذراعه وهزته، فمال عليّ كلياً فوقعت على الأرض وهو من فوقي... أخذت أصرخ وأصرخ.. لكن احداً لم يسمعني. حاولت سحب جسدي من تحته خائفاً غير مستوعب لما حدث له هو الآخر.

ثم أخيراً وبعد عدة محاولات تمكنت منْ الفرار تاركاً أبي ملقاً على الأرض بلا حراك.

ذهبت لأمي جاذباً ثوبها .. محاولاً إخبارها، لكنها لم تنتبه، فقد كانت منشغلة بقص كيفية موت جدي وكيف أنها حزنت لموته تماماً كما حزنت لموت أبيها.

حاولت التحدث إلى أي من الجالسين إلا أن أحداً لم ينتبه إليّ، فجلست أستمع إلى أحاديثهم وأتابع أقاويلهم ... استيقظت في الصباح فوجدتني في بيت خالتي أمينة وسط أبنائها الثلاث ... (ركضت متجهاً إلى بيتنا أبحث عن جدي وعن أبي فأخبرني أصدقائي في الطريق بأنهما قد ماتا وذهب بهما الجميع إلى مقابر عائلتنا فتركوهم هناك وعادوا دونهما.

أسرعت إلى هناك باحثاً عنهما ...

أخذت أطرق الأبواب الموجودة بالمكان وأنادي: "أبي ... أبي ..." فلم يجبني. كانت أسئلتي مازالت في رأسي تحيرني، فركضت في طريقي إلى بيت جدي توفيق صديق جدي....

احتضنني الكثيرون وقبلني الكثيرون أيضاً إلى أن وصلت.

دفعت باب بيت جدي توفيق.. دخلت إلى غرفته التي طالما جئت

إليها مع جدي لأجده طريح الفراش كما تعوّدت أن أراه فلم أره واقفاً أبداً.

"أبوي مات .. وجدي مات ... يعني ايه مات يا جدي؟ وليه أبوي مات؟... وليه جدي مات؟ ....

وهو مات ده حاجة وحشة ؟!

ظل ناظراً إليّ ولم يجب عن أسئلتي "طيب ليه أمي بكت لما مات جدي وجالت أنها حزنت؟! .. هو أنا لازم أبكي يا جدي ولازم أحزن؟!......

لم يجبني جدي توفيق فظلت نظرته إليّ ثابتة كما هي.

هل مات جدي توفيق هو الآخر ؟! ...

"شيماء سيد عبده"

"شيماء سيد عبده" تلك الطبيبة المتميزة صغيرة السن حديثة التخرج، والتي تعمل في مستوصف خيري بآخر شارعنا .. نصحتني جارتي بالذهاب إليها حينما رأتني أتألم بشدة، فاستجبت رغم عدم اقتناعي بالمكان، فرافقتني إلي هناك.

دفعت ذلك المبلغ الرمزي، وجلسنا في انتظار دوري .. كل شيء من حولي يثير اشمئزازي .. النساء بملابسهن البسيطة وأحاديثهن المتدنية الأسلوب، والأطفال متسخي الوجوه والملابس .. والرجال ومعظمهم من ذوي الأصوات المرتفعة والملابس الغير متناسقة تنبعث منهم روائح العرق كلما مروا .. يتحدثون إلي نسائهم بقدر من الغلظة، كل شيء من حولي يدعوني للذهاب .. ما عدا الألم بأسناني فيجبرني علي البقاء خاصةً أن اليوم هو الجمعة ولا بديل أمامي عن هذا المكان وهذه الطبيبة، وقفت اعتراضاً علي طول الانتظار، ولكني لم أقوى علي رفع صوتي أو حتى خفضه فلم ألفظ بكلمة واحدة، حتى ولم أرفع يدي من علي فمي.

ذُكر اسمي أخيراً بصوت مرتفع فأسرعت بالدخول إلي حجرة الكشف، فتفحصت الحجرة بعيني بسرعة – رغم الألم – أثناء حديث جارتي مع الطبيبة فيما لا يتعدى النصف دقيقة عن سبب ألمي.

أشارت لي بالجلوس علي كرسي الكشف .. وقعت عيني علي عينيها ... خرجت من الغرفة بعد حقنها لثتي بالمخدر ولكنها لم تحقن ذاكرتي .. إنني أعرف تلك النظرة، وهاتين العينين.. لأ أعرف ملامحها، فلم أنظر إليها أصلاً .. فقط نظرت إلي عينيها..إلي هذا الاسم المكتوب علي لافتة مضيئة أمامي.

"شيماء سيد عبده" ذات النظرة المتعالية رغم وضاعتها "التنميل". في لساني وفكي جعلني لا أستطيع الكلام حينما عدت إلي حجرة الكشف ثانية .. فقط فتحت فمي ولكني لم أتحدث تاركة إياها كي تفعل به ما تفعل.

ثم فتحت ذاكرتي فرأيتها صغيرة "شيماء سيد عبده" بنت عم سيد بواب عمارتنا الخاصة منذ عشرة أعوام، والذي تركنا عائداً إلي بيته الفقير ببلدته الصغيرة بالمنيا، بناءاً علي إلحاح ابنته الوحيدة والتي لم يهبه الله سواها ..

تراها تذكرني حينما تنظر إلي عيني المرتكزتين في عينيها بين لحظة وأخرى ؟!

لم تحبني يوماً ولم أحبها، بالرغم من أنها أحبت ابنتي ذات نفس السن، لم تنظر يوماً إلي بيتنا بتطلع وإنما باشمئزاز حتى أنا فقد كانت تنظر إليّ هذه النظرة .. فلطالما رفضت نقودي وطعامي، حتى ملابس ابنتي حينما كنت أعطيها إياها .. فمتى عادت إلي قاهرتنا والتهمت أحلامنا وصارت معالجتنا فأصبحت "الدكتورة شيماء سيد عبده" ؟!

عِلْمٌ وحُلم

حينما كنا نلعب أنا وأخواتي صغاراً كنا نحب لعبة التلميذات والمعلمة، فكنّ يخترنّ دور التلميذات وكنت أختار دور المعلمة، فقمت بدوري علي امتع وجه، وبت أحلم أن أصبح معلمة في كبري، وحينما كبرت عملت فيما عملت ولم أحظّ بدور المعلمة، حتى صرت أماً .. وقتها فقط أدركت أننى لم أتعلم شيئاً لأعلمه لأبنائي

صدر عن الدار

تخاريف خريف	شعر	مؤمن المحمدي
كل ما صنع الحداد	شعر	محمود خيرالله
قطة وقديسة وجنية	شعر	عبد الرحيم يوسف
حدثتنا ميرا	رواية	لميس فارس المرزوقي
إف/هم	رواية	كمامي
زعماء وعشاق	مقالات	سيد عبد القادر
يا قليل الأدب	نصوص	ميشيل نبيل
المدينة الملعونة	رواية	سعيد البادي
حوار الطظ	وثيقة	سعيد شعيب
المثقفون وكرة القدم	مقالات	أشرف عبد الشافي
الآخر في الشعر العربي	نقد	د. أيمن بكر
تفسر أعضاءها للوقت	شعر	وليد علاء الدين
يوميات من القرن الأفريقي	رحلات	علي العمودي
آلة الزمن	كوميكس	خالد الجابري
القطط أيضا ترسم الصور	قصص	أحمد شوقي علي
الشياطين لا تأتي عصرا	قصص	أشرف عبد الكريم
المهارات الأساسية للكتابة العربية	تعليم	د. محمد سعيد حسب النبي
مرة ١ مسلم و ١ مسيحي	مقالات ساخرة	محب سمير
أرقام سرية	شعر	ميسرة صلاح الدين
تدريس أدب الأطفال	تعليم	د. محمد سعيد حسب النبي
التربية العملية الميدانية	تعليم	د. محمد محمود موسى د. محمد سعيد حسب النبي
فتوات وأفندية	مقالات	د. ياسر ثابت
كائنات الورق	قصص	مالك عبيد
الطريق إلى قصر العروبة	سياسة	محمد علي خير
الضريح	رواية	كرم صابر
موسم الفراشات الحزين	رواية	اسامة حبشي
رائحة فرنسية	رواية	أسامة عبيد
مع ملائكة مكة	رحلات	سعيد البادي



العنوان	النوع	المؤلف
شوق	رواية	خليل أبوشادي
حبَّات التـوت	قصص	عادل العجيمي
إغراء السلطة المطلقة	سياسة	بسمة عبد العزيز
همسات لها أجنحة	نصوص	سلطان الحجار
نهار خارجي	قصص	محمد عبد الرحمن
قراصنة المتوسط	تاريخ	مجموعة باحثين
ملك على الذكرى	شعر	أحمد كامل
المتهم	رواية	كرم صابر
مقدمات الثورة المصرية	سياسة	د. أيمن بكر
دماء على طريق الحرية	سياسة	حنان بدوي - حنان السمني
السلفيون ايضا يدخلون النارا	سياسي ديني	وليد طوغان
فراشة الميدان	رواية	سلطان الحجار
25 حكاية	قصص	عمرو القاضي
مريم العذراء والانتفاض	رواية	كرم صابر
في انتظار وطن	سياسة	محمد علي خير
لأننا على قيد الحياة	قصص	ميشلين حبيب
الأصول السياسية للتنمية	اقتصاد سياسي	د.عمرو اسماعيل عادلي
كازينو بيض النعام	قصص	محسن راشد أبوبكر
الحية	رواية	ياسر سليم
ناشطة سياسية	رواية	سلطان الحجار
هذه الزُرقة البراقة	رواية	شتفان مولدُرفر
سيرة ذاتية لرئيس ا	رواية	كرم صابر
أشياء تختفي	قصص مترجمة	جيني إيربينبيك
جومابك زهدي	قصص	ايهاب بدوي
حرية الإرادة	فلسفة	دسيدريوس إيراسموس
رحلات ابن البيطار	رواية	علي بريشة
فردوس الزهراء	رواية مصورة	أمير وخليل
محمول	قصص مترجمة	إنجو شولتسه



العصفوران في القفص يطارد أحدهما الآخر...

صوت أم كلثوم "عايزنا نرجع زي زمان.. قول للزمان ارجع يا زمان"..

يلقى على مسامعي إحدى قصائده الشعرية فيطغى صوته تارة على صوتها، ويهدأ تارة عندما تتحداه بقوة صوتها.

لم أسمع كل ما ألقى من قصيدته، ولم أسمع كامل ما غنت أم كلثوم.. اختلطت كلماتها بكلماته، كبريائها بمناجاته..

تزاحم كل ما سبق منحشراً في أذني متسللا إلى صدري.. ضاغطا على ما به.. وصل إلى قمة انفعالاته، فوصلت إلى قمة اختناقي "كفاية".

أسرعت ففتحت الباب لأحد العصفورين وأغلقته على الآخر، فذهب إلى حيث لا يدريان، ثم أغلقت الشرفة بقوة كي لا أرى الآخر، وكي أخفض من صوت أم كلثوم الآتي من عند الجيران.



هبه البدهلي محامية من مواليد القاهرة عام 1976، تعود أصولها إلى قرية الأكراد بمحافظة أسيوط، نشرت العديد من قصص هذه المجموعة في صحف ومجلات مختلفة، وفازت قصتها "للموت معان أخرى" بالمركز الأول في مسابقة جامعة عين شمس للقصة القصيرة عام 2000.



Cover Design by: Mohamed Sayed

